

دلائل الإعجاز

سؤالاً منزلته إذا صرّحَ بذلك السؤالِ كثيراً . فمن لطيفِ ذلك قوله من - الكامل - :

(زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ ... صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي) .

لمّا حكى عن العواذلِ أنّهم قالوا : " هُوَ فِي غَمْرَةٍ " . وكان ذلك مما يحرّك السامعَ لأنّ يسألَه فيقول : فما قولك في ذلك وما جوابك عنده أخرجَ الكلامَ مخرجهُ إذا كان ذلك قد قيل له وصار كأنّه قال : أقول صدقوا أنّي كما قالوا ولكن لا مطمئع لهم في فلاحِي . ولو قال : زعمَ العواذلُ أنني في غمرةٍ وصدقوا لكان يكون لم يصحّ في نفسه أنّّه مسؤولٌ وأن كلامه كلامٌ مجيبٌ : . ومثله قولُ الآخرِ في الحماسة - الكامل - :

(زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ ... بَجَنُوبٍ خَيْتِ عُرِّيَّتٍ وَأُجِمَّتِ) .
(كَذَبَ الْعَوَازِلُ لورَأْيِنَ مُنَاخِنَا ... بِالْقَادِسِيَّةِ قُلَانِ : لَجَّ وَذَلَّتِ) .

وقد زادَ هذا أمرَ القطعِ والاستئنافِ وتقديرِ الجوابِ تأكيداً بأنّ وضعَ الظاهرِ موضعَ المضمَرِ فقال : كذبَ العواذلُ ولم يقل : " كَذَبَ بِنِ " . وذلك أنّّه لما أعادَ ذكرَ العواذلِ ظاهراً كان ذلك أبعينَ وأقوى لكونه كلاماً مستأنفاً من حيثُ وضعه وضعاً لا يحتاجُ فيه إلى ما قبله وأتى فيه ما أتى ما ليس قبله كلامٌ . وممّا هو على ذلك قولُ الآخرِ - الوافر - :

(زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ ... لَهُمْ إلفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلفٌ)